

في نور محمد فاطمة الزهراء

ماذا كذلك غير «التثليثية» التي تدعي أنَّهُ - سبحانه - ثالث ثلاثة، كلُّهم إله؟ ماذا أيضاً غير «الازدواجية» التي تُنذِّي اﻻ في إلهين: ظلمة ونور؟ فإن يكن فتحاً فهو العودة إلى الفطرة السويَّة، وتوحيد العالمين أجمعين على «وحدانية» اﻻ ... ودون ذلك ملل ونحل ومذاهب تحميها نظم سياسية طاغية، تتسنَّم عروشها شاهنشاهية» الأكاسرة، وامبراطورية القياصرة، «ونجاشية» الأحباش. نعم، ولا جدال. فَحَزَمٌ قريش، وشراذم يهود، وجماعة القبائل الذين تحزَّبوا عند ذاك ضدَّ الإسلام في رباط، هم أهون شأناً من أن تلعلع [1277] بالفلج عليهم هذه التكبيرات التي انبعثت من قلب الرسول وقلوب أصحابه يوم الخندق عبر حناجرهم، لتردِّدها وراءهم - تسبيحاً - بعظمة اﻻ واقتداره - رمال الصحراء وكواكب السماء! وأيُّ ما امرئ في الناس شهد ذلك المشهد، وسمع ذلك الهتاف، حريٌّ بأن تحدِّثه نفسه بالفتح المبين الذي لن تلبث أن تنجاب عنه سجاج الغد، وتتكشَّف أسرار المستقبل، بعد حين قد يظنُّ أنَّهُ بعيد وما هو بعيد. أفلم تكن بينهم نظرة نافذة، ترى بعين التخيل الملهم ما لا تدركه الأبصار؟ أو أذن غيبية تسمع بشارة القدر من خلف حواجز الأبعاد الزمنية وآماد المسافات؟ أو حدس صادق يتوفَّر شوقاً لاستقبال نصر اﻻ المكنون، ويسبق إليه خطوات السنين، ودورات النجوم والأفلاك؟ لمَ لا ... وإنَّ «الإحساس» بالمجهول وإن شئتُ البُعد، ونأْت المحسوسات - مكاناً وزماناً - لشيء وارد ومعلوم؟ وإنَّ «التخاطر» للُغة مفهومة، تعرفها الأنفس المشرقة، إذا ما تطابقت حسّاً بحسٍّ، وتوافقت وجداناً بوجدان؟ وإنَّ تبادل الشعور على البُعد [1278]،